رسالة شرعية عالمية

معهد المنهج الدراسي الميسر

من المستوى الأول إلى الثاني عشر

زوائد المؤلفات على
المنهج الدراسي الميسر

الشرح الميسر

على

الأصول الثلاثة

للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي

رحمه الله تعالى

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهلا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما بعد:

فهذا الكتاب (**الأصول الثلاثة**) الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا به، وأن يعيننا تعليمه، وهذا شرح مختصر للأصول الثلاثة سميته: (الشرح المُيسَّر على الأصول الثلاثة) [(١)].

ومؤلِّف (الأصول الثلاثة) هو الشيخ الإمام المُجدِّد محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي رحمه الله تعالى المتوفى في عام (١٢٠٦) للهجرة، وقد قضى عمره في الدعوة إلى الله عز وجل، وفي نشر التوحيد في زمان كثر فيه الشرك، حتى صار بعض من ينسب إلى العلماء ينافح عن عبادة غير الله سبحانه وتعالى، عبادة القبور بالذبح لغير الله عز وجل النذر لغيره سبحانه وتعالى، أمور شركية كثيرة، سيأتي الكلام عليها في ثنايا الكتاب، فقام الشيخ ودعا إلى الله تعالى بالخطابة والمواعظ والمراسلات، ومن ضمن ما كتب هذه الرسالة التي عنون عليها بعض طلبة الشيخ بـ(الأصول الثلاثة أو الثلاثة الأصول).

والشيخ رحمه الله تعالى كتبها نصيحة لمجموعة من الناس، ثم كتب الله عز وجل لها القبول وانتشرت انتشارًا واسعًا، وصار الطلبة بل وكبار السن يحفظونها عن ظهر قلب، ويعلمونها ويلقنون الأطفال منها، وكل ذلك والله تعالى أعلم لما كان عند الشيخ رحمه الله تعالى من الإخلاص، وحب النفع والخير للمسلمين، وله رسائل أخرى، ونحن نستفتح بهذا الكتاب ضمن سلسلة من دروس وكتب العقيدة وغيرها.

ونسأل الله عز وجل العون، وأن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) وهو شرح صوتي عام ١٤٣٨ هـ بمارب اليمن، ثم تم تعديله وإخراجه ١٤٤٧ هـ.

ونحمد الله تعالى فلا يزال هناك ثلة مباركة من طلبة العلم الذين يحرصون على تلقي هذا العلم الواجب، وعلى نشره وعلى بذله، وكذلك على الرحلة من أجله، وبذل المال والنفس والوقت، والله سبحانه وتعالى حافظ لدينه، وكذلك يقيِّض في كل زمان من يقوم بتجديد معالم هذا الدين.

والمؤلف اعتنى في هذا الكتاب ببيان ثلاثة أصول، وهي معرفة الله عز وجل: وذكر فيه الربوبية والألوهية، ومعرفة دين الإسلام: وذكر فيه أركان الإسلام وأركان الإيمان والإحسان، ومعرفة النبي ﷺ ذكر فيها شيئًا من سيرته ودعوته، وشيء من الكلام على البعث، وأخذ الأصول من أحاديث سؤال القبر، يسأل الإنسان عن ربه ونبيه وعن دينه.

ووضع في مقدمة الكتاب أربع مسائل عامة، ثم ثلاث مسائل تتعلق بالتوحيد.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يستعملنا في طاعته، وأن يستعملنا في نشر العلم والدعوة إليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.



قال المؤلف رحمه الله تعالى وأعلى درجته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[وبه نستعينُ]

اعلَمْ رَحِمَكَ الله تعالى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الشرح:

(الأصول الثلاثة) الأصول: جمع أصل وهو القاعدة التي يبنى عليها غيرها.

فهذه الأصول يبنى عليها مسائل كثيرة من الدين والعقيدة.

(بسم الله) استفتح هذه الرسالة بالبسملة، وهذا مجمع على استحبابه، اقتداء بكتاب الله عز وجل وبسنة النبي عليه الصلاة والسلام، وقد سار أهل العلم من الصدر الأول على الابتداء بالبسملة في غالب مصنفاتهم، وهو مستحب وقد نقل الإجماع القرطبي والحافظ وغيرهما.

والباء للاستعانة والتبرك، ومعنى (بسم الله) أستعين بالله.

(الرحمن الرحيم) يعني ذو الرحمة الواسعة والواصلة.

وقوله: (اعلم) هذه الكلمة يؤتى بها لينتبه الطالب والقارئ على أهمية ما سيُذكر بعدها.

وقوله: (رحمك الله) دعاء للقارئ وللطالب وهذا يدل على رحمة المؤلف و على حبه للخير لمن يقرأ ولمن يدرس هذا الكتاب، وأن الدعوة إلى الله عز وجل مبنية على الرحمة وعلى الرفق وعلى الحكمة؛ فإن الشخص إذا قرأ هذا الدعاء يكون أدعى لقبوله لما احتوت عليه الرسالة.

وقوله: (يجب علينا) تعلم أصول العقيدة واجب وجوبًا عينيًا على كل مسلم ومسلمة، حر أو عبد، عربي أو عجمي، وأما التوسع والتبحر في العقيدة فإن هذا من الوجوب الكفائي، وبهذا تُضبط مسألة الوجوب، وغالب المسائل المذكورة في هذا الكتاب داخلة في الوجوب العيني، لأنها تتعلق بأمور لا بد من معرفتها.

وقوله: (تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ) هذه الأربع ذكرها المؤلف تمهيدًا للأصول الثلاثة، وليس للحصر.

الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.
الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ. الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ. الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾.

الشرح:

(الْأُولَى: الْعِلْمُ...) العلم: هو الأصل والأساس ومن أعظم العبادات، وآكد فروض الكفايات، وبه حياة الإسلام والمسلمين، وفيه نعش الدنيا والدين، وهو الميراث النبوي، ونور القلوب، وأهل العلم هم أهل الله تعالى حقًّا، وأولى الناس بالله وبرسوله عليه الصلاة والسلام، وأقربهم إليه وأخشاهم له وأرفعهم درجات في الآخرة، فالعلم عبادة كريمة جليلة عظيمة نافعة، بها حياة الإسلام والمسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾، فالحياة والعلم والنور هنا هو العلم، والعلم إنما يؤخذ على العلماء، ولا يؤخذ من الكتب وحدها، وإنما الكتب وسائل للحصول على العلم، وأما تلقي العلم فإنما يؤخذ عن العلماء، وهذا أمر معلوم، وأجل العلم علم العقيدة والتوحيد.

وقد عرف المؤلف العلم هنا بأنه معرفة الله تعالى ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

وهذا هو معنى تعريف ابن عبد البر الذي قال فيه: العلم هو معرفة الهدى والعمل به.

والهدى هو الحق.

وقوله: (مَعْرِفَةُ اللهِ) نعرف ربنا سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته ونعمه، فمن كان أعلم بأسماء الله عز وجل وصفاته وأفعاله فهو أعلم الناس بالله عز وجل، والأنبياء والرسل عليهم السلام هم أولو الرتبة الأولى في هذا، ومن سار على هديهم وتعلم العلم الشرعي الذي جاءوا به كان من أعرف الناس بالله سبحانه وتعالى.

وسيأتي الكلام على معرفة الإسلام، ومعرفة النبي ﷺ في الأصلين الثاني والثالث.

وقوله: (بالأدلة) عائد إلى جميع ما قبله، وأراد أن يخرج التقليد فإن كثيرًا من الناس يعرفون عن الإسلام ثقافة سطحية بغير أدلة، أو يقلدون غيرهم، فهذا ليس بالعلم إنما العلم أن تعرف المسألة بدليلها، وتعرف وجه الاستنباط منها.

قال: (الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ) والعمل ثمرة العلم فالعلم كالشجرة والعمل كالثمرة، والعلم إن لم يوجد عمل يرتحل، أو لا ينفع، وشرط العمل: الإخلاص والاتباع، فلا يكون العمل مقبولًا عند الله عز وجل إلا بالإخلاص والاتباع، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

قال: (الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ) والدعوة واجب كفائي؛ لأن الله تعالى أمر بها، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ وأوجب الدعوةِ الدعوةُ إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وإلى سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

والعلم والعمل كمال ذاتي، وأما الدعوة بعلم فإنها إكمال للغير، فيكون الشخص بالعلم والعمل قد أكمل نفسه، وبالدعوة سعى إلى إكمال غيره، وهذا من أعلى المراتب.

وقوله: (الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ) لأن الإنسان إذا تجرد لله عز وجل ودعا إلى دينه كما ينبغي؛ فإنه لا بد أن يلقى المؤيد والمخالف والمعاند، فيحتاج أن يصبر على هذا وعلى هذا وعلى الأذى حتى ينجح.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ فالصبر يعتبر ركنًا عظيمًا من أركان الدعوة إلى الله عز وجل.

والصبر في الجملة معناه: حبس النفس على ثلاثة أمور:

الأولى: الصبر على طاعة الله تعالى.

والثانية: الصبر عن معصية الله تعالى حتى لا يقع فيها.

والثالثة: الصبر على أقدار الله تعالى المؤلمة.

والمسألة الرابعة التي ذكرها المؤلف داخلة في الصبر على طاعة الله تعالى، فإن الإنسان إذا أطاع الله تعالى يحتاج إلى صبر، وأيضا داخلة في الصبر على أقدار الله تعالى المؤلمة. والله سبحانه وتعالى الموفق، نسأل الله تعالى العون والسداد.



وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾

الشرح:

(وَالدَّلِيلُ) الدليل مستند الكلام من الكتاب والسنة والإجماع.

ومن صحت أدلته صحت عقيدته.

ومن عادة أهل السنة والجماعة أنهم يدعمون كلامهم بأدلة الكتاب والسنة، فالمؤلف: ذكر هذه المسائل الأربع ثم ذكر دليلها من كتاب الله عز وجل.

﴿وَالْعَصْرِ﴾ وهذا إقسام بالدهر وهو الزمان، وربنا جل وعلا يقسم بما شاء من خلقه.

أما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم إلا بالله عز وجل، لأنه شرك.

وهذه الأدلة التي وردت في القرآن الكريم فيها القسم يراد بها التنبيه على أمر مهم سيأتي بعدها.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ إن: حرف توكيد ونصب، و(أل) التي في الإنسان للاستغراق وتكون بمعنى كل، أي: إن كل إنسان خاسر، والخسارة تؤدي إلى النار، والعياذ بالله تعالى.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ استثنى الله تعالى طائفة المؤمنين العاملين.

الإيمان: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والإيمان يكون بعلم، فلفظ الإيمان دليل على المسألة الأولى، وهي العلم.

ولهذا من كان أعلم بالله تعالى وأعرف بأسمائه وصفاته كان أعظم إيمانًا، وقد وصف الله جل وعلا المشركين بالجهل، والجهل قرين الشرك.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهذا هو دليل العمل، والصالحات هي الأعمال الموافقة للعلم الشرعي، موافقة للكتاب والسنة، مع كونها خالصة لله تعالى.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ هذه هي الدعوة، أوصى بعضهم بعضًا بالإيمان والعلم والعمل.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضًا على التواصي على العلم والعمل والدعوة والصبر على ذلك كله، فالعلم وتحصيله يحتاج إلى صبر، والعمل والاستمرار فيه يحتاج إلى صبر، والدعوة وبذلها والاستمرار فيها يحتاج إلى صبر، فهذه السورة العظيمة شأنها كبير.

****

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله تَعَالَى في هذه السُّورةِ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»[(١)].

وَقَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله تَعَالَى: «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ»؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

الشرح:

(الشَّافِعِيُّ) وهو محمد بن إدريس القرشي الإمام المشهور المتوفى سنة (٢٠٤) للهجرة رحمه الله تعالى، من أئمة السنة والحديث.

(لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ) هكذا ذكره الشيخ بهذا اللفظ.

وإنما ورد بلفظ: (لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم). أي: لو تأملوا ما فيها من الدعوة إلى العلم والعمل ودعوة الآخرين إلى هذا الدين والصبر على ذلك؛ لكان في ذلك خير كبير.

(البُخَارِيُّ) وهو محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الصحيح المتوفى سنة (٢٥٦) للهجرة قال في صحيحه في كتاب العلم: (بابٌ العلم قبل قول والعمل). هذه الترجمة تبين ما سبق ذكره لأن العبادة توقيفية فلا يجوز للشخص أن يتعبد الله جل وعلا إلا بعد أن يعلم أن هذه العبادة مشروعة.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ) في البخاري بلفظ: (لِقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ فَبَدَأَ بِالعِلْمِ، وَأَنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا العِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ...أ.هـ

وهذا من حرص أهل السنة على بيان الأدلة.

---

(١) اللفظ المشهور هو ما ذكره ابن القيم في الداء والدواء وهو: «لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم». ثم رأيته أيضًا في تفسير ابن كثير بلفظ: «لوسعتهم» مكان «لكفتهم». ولم أقف على سنده.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ العلم أنه لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله.

والعلم بالتوحيد أجل العلوم، وفهمه أجل الفهوم، ولنا رسالة في شرح هذه الكلمة العظيمة ومعناها وفضائلها وشروطها.

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، الاستغفار يشمل القول والعمل، فالقول بأن يقول: أستغفر الله. والعمل هو التوبة بالقلب والجوارح، فهذا دليل على أن العلم يبدأ به قبل القول والعمل.

وفي الجمع بين التوحيد والاستغفار دلالة أن قوام الدين بالتوحيد والاستغفار، فالتوحيد ترفع به الدرجات، والاستغفار تمحى به الزلات.



اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ تعالى أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ: الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.

الشرح:

(اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ تعالى) تقدم بيانه.

(يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ) قال ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» رواه ابن ماجه وحسنه الألباني. وهو من الوجوب العيني على من قدر عليه، سواء كان هذا التعلم عن طريق تلقي العلم والدروس عن العلماء، والدراسة عندهم، أو كان عن طريق سماع الأشرطة وقراءة الكتب لمن لم يتيسر له تلقي العلم عن العلماء، المهم أن الشخص يؤدي هذا الواجب الذي أوجبه الله سبحانه وتعالى.

(تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ) وهذا ليس للحصر.

(الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا) هذه المسألة الأولى التي تفارق بها أهل الإلحاد، أن الله تعالى خلقنا ورزقنا، فالملحدون لا يقرون بأن الله تعالى هو الخالق والرازق، وقد حاججهم الله جل وعلا في كتابه كثيرًا كقوله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾، فالله سبحانه وتعالى بين أن الإنسان إما أن يخلق نفسه وإما أن يكون له خالق خلقه، وهو الله سبحانه وتعالى.

والأولى مستحيلة فلم يبق إلا الثانية أن الله جل وعلا هو الخالق.

(وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا) الهمل: الإبل بلا راعٍ. تطلق على الذين لا نظام لهم.

وفي هذه الجملة فيها رد على المشركين الذين يقرون أن الله تعالى هو الخالق الرازق وينكرون البعث، فإن هذا شبيه بالعبث، وقد نفاه الله تعالى في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ هَمَلًا لا يُؤمر ولا يُنْهى، ويبعث ولا

يحاسب ولا يعاقب.

والله جل وعلا خلق الإنسان لحكمة في الدنيا، وكذلك لحكمة في الآخرة، أما في الدنيا فقال الله جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾، عبادة خالصة وعلى الشرع.

وفي الآخرة للجزاء والنعيم أو العقاب، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى في جزاء الموحدين: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾، وقال في جزاء الكفار: ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فلا بد من بعث وحشر وحساب، ثم الجنة أو النار.

(بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ،)

أرسل إلينا وإلى كل أمة رسولًا يبين لهم التوحيد والسنة والطاعة، وينهاهم عن الشرك والبدعة والمعصية، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾) هذا الدليل على أن الله تعالى أرسل إلينا رسولًا وهو محمد ﷺ كما أرسل إلى فرعون وقومه موسى عليه السلام، فلما عصى فرعون وأصر على الشرك والكفر أخذه الله تعالى، وهكذا من عصى من هذه الأمة وأصر على الشرك والكفر فإن الله جل وعلا سيأخذه كما أخذ فرعون، ويعذبه كما عذب من قبله من عصاة الرسل.

فينبغي للمسلم الذي يريد النجاة أن يحرص على ثلاث:

الأولى: أن يوحد الله تعالى، ويوالي أهله.

والثانية: أن يجتنب البدع ومن شرها بدع الاعتقاد والحزبيات.

والثالثة: أن يطيع الله سبحانه في فعل الأوامر وترك المناهي.

ويلزم من ذلك ترك ثلاث:

الأولى: أن يترك الشرك بالله تعالى ويبرأ منه ومن أهله.

والثانية: أن يترك البدع والحزبيات، ويجانب أهلها.

والثالثة: أن يترك المعاصي ويقطع أسبابها.

فهذا هو الدين الذي جاء به نبينا محمد ﷺ.

****

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

الشرح:

(أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ) اللهُ لا يرضى بالشرك، لأن الشرك فيه من المفاسد والضرر على الخلق شيء كثير، كما أن فيه تنقصًا لحق الله عز وجل في ألوهيته سبحانه وتعالى وربوبيته، فالمشرك لم يعظِّم ربنا جل وعلا حق تعظيمه، فلذلك أشرك معه غيره.

والعبادة حق محض لله عز وجل، وهنا قاعدة يذكرها أهل العلم وهي: (ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله عز وجل شرك أكبر).

(لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ) لا يجوز صرف شيء من العبادة لهم، فما ظنك بمن كان دون هذه المنزلة؛ فلا يجوز صرف العبادة له من باب أولى.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾) والدليل على أن العبادة حق محض لله عز وجل وأن صرفها إلى غيره شرك هذه الآية، والمساجد يقصد بها مواضع الصلاة والعبادة، ويشمل المساجد المبنية وغيرها، كما يشمل عبادة الدعاء وغيرها من العبادات.

وسيأتي الكلام على الدعاء في موضعه.

****

- **الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية.**

الشرح:

(أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ) وعمل بالمسألة الأولى والثانية، فذلك خير ولكن لا يتم إلا بالثالثة الآتي ذكرها من البراءة من الشرك.

(لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ) لابد له أن يبرأ من الشرك ووسائله وأهله، ويبغضهم ويجانبهم. وهذه الآية تفسر معنى (لا إله إلا الله) فـ(لا إله) تعني: البراءة من كل معبود سوى الله تعالى، (إلا الله) إثبات العبادة والتوحيد لله عز وجل وحده، فلا يستقيم توحيد العبد إلا بالبراءة من الشرك وأهله، أما من يدعي أنه مسلم موحد وهو مع ذلك يوالي المشركين ويحبهم فهذا يتناقض مع دعواه أنه من الموحدين، وهذه المسألة مبسوطة في (نواقض الإسلام) وقد شرحناها هنالك.

(وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ) فلا مداهنة في التوحيد، وغير القريب من باب أولى، فهذا الدين لا يقدم عليه الآباء ولا الأبناء ولا العشيرة ولا المصالح؛ بل يجب أن يكون التوحيد والدين والحق مقدمًا على كل شيء.

(﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية) يوادون: من المودة والمحبة والموالاة.

ومن حاد الله ورسوله يعم جميع المشركين والكفار والملحدين، وجميع ملل الشرك والكفر بما في ذلك عبادة القبور والأولياء والسدنة والسحرة ونحوهم.

كما أن من حاد الله ورسوله من المسلمين بالمعاصي أو بالبدع فإنه يُبغض ويتبرأ منه بقدر ذنبه وبدعته ولا يكفَّر.

ولا يصل إلى هذه المرتبة وهي التمسك التوحيد الخالص والبراءة من الشرك ووسائله وأهله، إلا من كان من أهل الإيمان الصادق، ويكفيهم فخرًا أن الله تعالى وعدهم بجنات خالدين فيها، وأنه رضي عنهم ونسبهم إلى نفسه تشريفًا، وهم المفلحون في الدنيا والآخرة: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فهنيئا لأهل التوحيد والسنة، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم منهم.



- اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ[1]؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ.
وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.
وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

الشرح:

(اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ) يتكرر دعاء الشيخ للمتعلمين، وهذا من التلطف، وحسن المعاملة التي تجعل الطالب يزداد رغبة في الخير وفي العلم.

وقوله: (أرشدك الله) الرشد ضد الغي، وهو الاستقامة على طريق الحق، ويأتي الرشد بمعنى الدلالة على الصواب، ويأتي كذلك بمعنى التوفيق.

وهو هنا يشمل الكل، (أرشدك الله تعالى)، أي: دلك على الخير والتوحيد والاستقامة، ووفقك للعلم بها والعمل والثبات عليها.

(لِطَاعَتِهِ) الطاعة، هي: فعل المأمور وترك المحظور امتثالًا.

والامتثال: الإيمان بأن طاعة الله تعالى حق، ومحبة العمل بها، والرغبة فيها عند الله سبحانه من أجرها ورضاه سبحانه.

(أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) ملةَ: بالنصب على تقدير فعل محذوف،...

(أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) هذا هو تفسير الحنيفية، وهو التوحيد والبراءة من الشرك، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

---

(١) في بعض النسخ المطبوعة زيادة [وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وخلقَهم لها] ولم أرها في المخطوطات التي لدي.

وتفسيرها بأن الحنيف هو: المائل عن الشرك. تفسير قاصر لأن التوحيد والبراءة أعم من الميل.

والصواب كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية واستفاد منه المؤلف أن الحنيفية هي: إخلاص الدين لله سبحانه والبراءة من الشرك وأهله.

(﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾) والأمر بعبادة الله عز وجل وحده لا شريك له أمر الله تعالى به جميع الناس من لدن آدم إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها، واتفق على ذلك جميع الرسل والأنبياء، فالتوحيد دين جميع الرسل، وهو الإسلام الذي ذكره الله عز وجل عن إبراهيم وبنيه، وعن موسى وعيسى وغيرهم، ونقل شيخ الإسلام الإجماع على أن جميع الأنبياء والرسل متفقة على التوحيد والعقيدة، كما حررناه في (قواعد التوحيد).

وهذه الآية التي استدل بها المؤلف تبين الحكمة من خلق الخلق، ومن خلق الجن والإنس على وجه الخصوص، وأن الله تعالى خلقهم من أجل أن يعبدوه وحده لا شريك له، فمن مال عن هذا المقصد الشريف فقد خرج إلى غير ما خلقه الله سبحانه وتعالى له.

(وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ) التوحيد أحسن الحسنات، وأفرض الواجبات، وأعظم الأعمال، ولا تصح العبادة إلا مع التوحيد، ولا ينجو الإنسان من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة إلا إن كان من أهل التوحيد، والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها حديث جابر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ». رواه مسلم.

(وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ) فسر التوحيد بأهم أنواعه، وهو توحيد الألوهية؛ لأن أكثر الشرك الذي وقع في الأرض هو في جانب توحيد الألوهية، وفي جانب العبادة.

والتوحيد بالمعنى العام: إفراد الله عز وجل بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

(وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ) الشرك بالله عز وجل أقبح القبائح، وأعظم الذنوب، وأكبر الفساد، وأظلم الظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ولا ينفع الإنسان أي عملٍ خالطه الشرك، ولا ينتفع به في الدنيا ولا في الآخرة.

(وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ) هذا بيان لبعض أخطر أنواع الشرك المنتشرة في زمان المؤلف وقبله وبعده، وهو دعاء غير الله تعالى من الأنبياء والأولياء والأشجار والأحجار والقبور والجن، حتى مرت قرون على كثير من البلدان لا يعرفون إلا الشرك بالله تعالى، والعياذ بالله.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾)

أي: وحدوا الله تعالى في العبادة، ولا تشركوا به شيئًا.

وتعريف الشرك بالمعنى العام، هو: أن تجعل لله ندًّا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

وجميع أنواع الشرك خطيرة على المسلم.

ولا يقبل الله عز وجل توحيد عبد حتى يستكمل أنواع التوحيد الثلاثة.

وقد ذهبت طوائف من أهل البدع إلى الاعتناء بتوحيد الربوبية شيئًا ما وربما أخطأوا في كثير من ذلك من جهة معتقداتهم، وأنكروا أو أهملوا توحيد الألوهية حتى وقع كثير منهم في الشرك بالله عز وجل.

وأهل السنة يقسمون الشرك إلى أكبر وإلى أصغر وقد بينا ذلك في (شرح القواعد الأربع).



[الأصل الأول : معرفة الله تعالى]

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟
فَقُلْ : مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، وَدِينَهُ ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ رَبُّكَ؟
فَقُلْ : رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي ، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:٢]. وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

الشرح:

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ) المؤلف بعد أن ذكر المقدمة التي اشتملت على الأربع المسائل، ثم على الثلاثة المسائل الأخرى، شرع في مقصوده من الكتاب، وهو بيان الأصول الثلاثة وشرحها بما تيسر كما سيأتي.

وهذه الأصول لا تقوم العقيدة إلا بمعرفتها والعلم بها، والدليل على هذه الأصول الثلاثة حديث البراء بن عازب وأبي هريرة وأنس وعائشة وجاء عن غيرهم أن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر فتنة القبر: (فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ) الحديث. وتخصيص السؤال عن هذه الأمور الثلاثة دليل على أنها أهم ما يجب على المسلم أن يعتني به.

(التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا) تقدم الكلام على الوجوب.

(فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ) تقدم أن المؤلف فسر العلم بنحو هذا في المسائل الأربع فقال: (الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ)، والمعرفة هنا بمعنى العلم، ولفظ العلم أدل على المقصود من لفظ المعرفة.

(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟) إذا سئلت بهذا السؤال من باب التعليم أو الفائدة أو لمقصود آخر، فليكن عندك جواب مدعوم بالعلم بالدليل.

(فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ) إقرار بالربوبية، وهي: اعتقاد أن الله تعالى متفرد في أفعاله فلا شريك له.

(الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمَتِهِ) وفي بعض النسخ بالجمع (بنعمِه) ولعلها أوضح في المقصود، وتربية الله تعالى نوعان، قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

الرب، هو المربي جميع العالمين -وهم من سوى الله تعالى- بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى. وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب؛ فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة. أ.هـ

(وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ) أي: وحده لا شريك له، فهو المعبود الحق، وما عداه من المعبودات فباطل، فلا شريك له من أصنام أو أشجار أو أحجار أو أنبياء أو ملائكة.

وأسلوب الشيخ فيه الاستدلال بالربوبية على الألوهية، ويؤكده ما سيأتي من ذلك.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾) الحمد: (أل) للاستغراق بمعنى (كل) يعني: كل المحامد والثناء لله رب العالمين، والثناء على الله تعالى يكون بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله.

(وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمَ) رب واحد والعالم كثير، فالعالم يطلق على جميع الخلق، وهم ما سوى الله سبحانه وتعالى. هذا دليل واحد والأدلة كثيرة.

****

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.
وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ.
وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣٧].
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤]).

الشرح:

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ) الإنسان يعرف ربه سبحانه وتعالى عن طريق الشرع وكذلك عن طريق العقل.

أما معرفة الله جل وعلا عن طريق الشرع فبما جاء به الرسل عليهم السلام من الكتاب والسنة، وكذلك الآيات ودلائل النبوة كل هذا يدل على وجود الله سبحانه وتعالى وربوبيته.

أيضًا الإنسان يعرف ربه تعالى فطرياً؛ لأن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام أخذ ذريته من ظهره وأشهدهم على أنفسهم فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾، فالإنسان يعرف ربه تعالى فطرياً ثم يزداد معرفة بأدلة الكتاب والسنة.

وكذلك يعرف ربه تعالى بأدلة العقل، فينظر إلى سماء ذات أبراج، وأرضًا ذات فجاج، وجبال وسهول وبحار، وينظر ما خلق الله عز وجل من الخلائق كيف دبرها وصرفها وسيرها على نظام دقيق، فيعرف أن لهذا الكون خالقًا، وقد ذكر الله تعالى هذه الأدلة كلها في كتابه.

وسيأتي شيء من ذلك.

(وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ. وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا)

بآياته ومخلوقاته، وكلها من مخلوقاته وآياته.

والآيات: جمع آية، والآية: العلامة والدلالة والبرهان والحجة التي بها يعرفه العباد.

والمخلوقات: جمع مخلوق وهو ما أُوجد بعد العدم، وهي تدل على تفرده بالخلق والتدبير.

فآياته ومخلوقاته نصبها دلالة على وحدانيته وربوبيته والإلهية الحقة له تعالى.

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «فرق الشيخ بين الآيات والمخلوقات؛ لأن الآية هي البينة الواضحة، والليل والنهار والشمس والقمر آية أظهر منه في السماوات والأرض، لأنها متغيرة وتذهب وتجيء وأما السماء والأرض فهو يصبح وهو يراهما فقد ألف عليهما، فإلفه - أي العبد - يحجب عنه كونها آيات». (شرحه ص٢٣).

(وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ) ومن علم بأن الله الخالق الذي يوجد الليل والنهار والشمس والقمر، فليعلم أنه هو المستحق للعبادة وحده.

(وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا) وهذه تدل على عظمة الله تعالى الخالق لها.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾) لأن السجود عبارة عن نهاية التعظيم، والشمس والقمر مخلوقان متصرف فيهما، يعتريهما التغير فلا يستحقان أن يسجد لهما، فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر ولا تصرفوا لها شيئًا من العبادات، ولا لما هو دونها من المخلوقات من باب أولى.

﴿وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، فالخالق المالك المدبر هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾) إن ربكم هو الذي خلق السماوات بعظمتها والأرضين بطبقاتها، وهو الذي يسخر الخلق لما يشاء، وله الأمر، الأمر بمعنى التقدير والحكم، وأيضًا بمعنى الأمر بالشيء؛ إذا قال للشيء كن فيكون، فإذا كان الإنسان يقر أن الله تعالى هو ربه فيجب عليه أن يفرده بالعبادة.

هذا هو الذي أراد الشيخ أن يقرره في هذه الكلمات، والله المستعان.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ارتفع وعلا عليه كما يليق بجلاله، ومن أنكر ذلك فقد ضل.

﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ طلباً سريعاً لا يفصل بينهما شيء ولا يدرك أحدهما الآخر.

﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فـ(تَبَارَكَ): بلغ في البركة والعظمة أكملها، وهي صيغة لا تصلح إلا لله، فلا يقال للعبد تباركت يا فلان.



- والرَّبُ هو المعْبود؛ والدَّليل قوْله تعالى: ﴿يا أيُّها النَّاس اعْبدُوا ربَّكُم الَّذي خلقكمْ والَّذين منْ قبْلكُمْ لعلَّكمْ تتَّقُون * الَّذي جعل لكُم الأرْض فراشًا والسَّماء بناء وأنْزل من السَّماء ماءً فأخْرج به من الثَّمرات رزْقًا لكُمْ فلا تجْعلُوا لله أنْدادًا وأنْتُمْ تعْلمُون﴾ [سورة البقرة: ٢١-٢٢].
قال ابْنُ كثيرٍ رحمه الله تعالى: «الخالقُ لهذه الأشْياء هُو المُسْتحقُّ للعبادة».

الشرح:

(وَالرَّبُ هُوَ المَعْبُودُ) معناه: الرب هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

فمن قال: إن الله ربي. يقال له: يجب عليك أن تصرف العبادة كلها لله تعالى وحده، لربك وحده، وهذا لازم على كل من أقر بربوبية الله تعالى، وعلى غيرهم من جميع الخلق، فلو وجد من ينكر وجود الله عز وجل لم يسقط عنه حق العبودية لله عز وجل، لكن الله سبحانه وتعالى أنزل آيات يحاجج المشركين الذين يقرون بربوبيته في الجملة، وينكر عليهم الشرك مع الإقرار المذكور، لأنه تناقض.

كما في حديث الحَارِثَ الأَشْعَرِيَّ رضي الله عنه مرفوعًا في قصة يحي عليه السلام: (وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِالله كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَلَا تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا). رواه الترمذي وابن خزيمة.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الآية) إذا كنتم تعترفون أن الله تعالى هو ربكم فاعبدوه، وإلا فاعترافكم بربوبيته لا ينفعكم.

﴿أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأنداد جمع نِد، وهي المعبودات الباطلة. (وأنتم تعلمون) أن الله هو ربكم. فحاجج المشركين بالربوبية من أجل أن يلزمهم بتوحيد الألوهية.

فالإقرار بالربوبية وحده لا يكفي، والإقرار بالألوهية وحده لا يكفي. والإقرار بالأسماء والصفات وحده لا يكفي. (فلا يصح التوحيد إلا بأنواعه الثلاثة).

فلو جاء بنوع أو نوعين من التوحيد وأخل بالثالث أو بعضه فإنه لا يزال مشركًا.

وتوحيد الربوبية في أفعال الله تعالى، وتوحيد الألوهية في أفعال العباد التعبدية، والإله بمعنى المعبود، فهناك فرق بين الربوبية وبين الألوهية.

وقد زل في هذا عدد كبير من أهل البدع، كانوا يقولون إن الربوبية والألوهية شيء واحد وهو توحيد الربوبية، وفسروا الشرك بأنه الشرك في الربوبية، فصار عندهم الدعاء لغير الله تعالى، والذبح والنذر لغير الله تعالى، إلى غير ذلك من الشرك في الألوهية لا يسمى عندهم شركًا.

وهذا ك ضلال مبين، فمشركو العرب أقروا بربوبية الله تعالى في الجملة ولم يخرجوا بذلك من الشرك.

(قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ) الشرع والعقل والفطرة تدل على أن الخالق الرازق هو الذي يستحق أن يُعبد وحده، فمن عبد مع الله تعالى غيره فقد ضل عن الصراط المستقيم، وخالف العقل والفطرة.



- وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ.
وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، كُلُّهَا للهِ تَعَالَى. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

الشرح:

(وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ) هذه الثلاثة جماع الدين والعبادة كما في حديث جبريل.

فيبين لك المؤلف أن العبادة التي أمر الله جل وعلا بها، يجب أن تصرف لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقول والأفعال والنيات.

والسؤال: كيف نعرف أن الله جل وعلا يحب هذه العبادة أو لا يحبها؟

الجواب: إذا أمر الله جل وعلا بها أو حث عليها فهي عبادة لله سبحانه وتعالى.

كما أن كل ما أمر الله تعالى بتركه فتركه عبادة لله عز وجل. فالميزان هو الكتاب والسنة.

أما إذا لم يرد في ذلك دليل من كتاب الله تعالى أو من سنة رسول الله ﷺ، فلا يثبت أنه عبادة.

ومن هنا أخذ العلماء قاعدة وهي: (العبادات توقيفية) أي: لا تثبت العبادة حتى يثبت دليلها.

كذلك من القواعد العظيمة: (العبادة حق محض لله عز وجل) كذلك أيضًا من القواعد التي ينبغي أن تُفهم وهي: (كل ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر).

كذلك من القواعد في هذا الباب: (لا تصح العبادة إلا بالإخلاص والاتباع).

(الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، ...الخ) سيأتي الكلام عليه مع أدلتها.

(كُلُّهَا للهِ تَعَالَى. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ)

جميع العبادة لله وحده لا شريك له، ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

(﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾) تقدم الكلام عليها.

(فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ) من صرف ولو شيئًا يسيرًا من العبادة لغير الله عز وجل، فقد وقع في الشرك الأكبر.

(مُشْرِكٌ كَافِرٌ) الجمع بين الوصفين وارد في القرآن الكريم في حق من عبد غير الله تعالى، كما في الآية التي ذكرها حيث وصفت المشرك بالكفر، وفي سورة فاطر وصفه بالشرك: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾، وأدلة أخرى، وعند التفصيل كل مشرك كافر ولا عكس.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾) فوصف من يدعو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى بالكفر.

****

- وَفِي الحَدِيث: «الدُّعَاءُ مخ العِبادَة»[١]. والدَّليل: قَوْلُه تَعالَى: ﴿وقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُون جَهَنَّم دَاخِرِين﴾.

- ودَلِيلُ الْخَوْف: قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

الشرح:

(وَفِي الحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ») هذا نص حديث ضعيف، لكن صح بلفظ: «الدعاء هو العبادة»[٢].

(وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾) هذه الأدلة التي تنص أن الدعاء عبادة، وكذلك الأدلة التي تنص على أن الله تعالى أمر بالدعاء نثبت من خلال النظر فيها أن الدعاء عبادة، كما سبق أن كل ما أمر الله تعالى به فهو عبادة.

ودعاء غير الله تعالى ينقسم إلى قسمين:

١ - أن يدعو الحي الحاضر القادر، في شيء يقدر عليه مثله فهذا جائز ما لم يخالف الشرع، كأن تقول: يا فلان أغثني من فلان. أو: أغثني من الأسد. أو: أعني على كذا.

٢ - أن يدعو غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه فهذا شرك أكبر.

وكذلك يدخل في الشرك الأكبر أن يدعو غير الله تعالى دعاء عبادة، أو يدعو ميتًا.

وهذا الشرك من أعظم ما تفشى في الناس حتى دعوا القبور والأشجار والأحجار والأنبياء والصالحين والأصنام إلى غير ذلك.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧١) عن أنس رضي الله عنه، وسنده ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني والشيخ الوادعي.

(٢) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وغيرهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وسنده صحيح، وصححه الشيخان الألباني والوادعي.

(وَدَلِيلُ الخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾)

الخوف هو: اضطراب القلب من توقع المكروه.

والخوف يكون عبادة ويكون عادة.

فالأول: الخوف من الله تعالى، وسبب الخوف من الله تعالى أمران: العلم بعظمته وكماله وقوته...، والخوف من عذابه وعقابه. فالأول يسمى خوف الإجلال، فهو خوف تعظيم لله سبحانه وتعالى، وهو أرفع رتبة من الثاني، الذي يكون من عقابه، لأن خوف الإجلال خوف من الخالق ذاته، والخوف من عقابه كالنار خوف من مخلوق.

والدليل على أن الخوف عبادة هذه الآية فأمر الله تعالى لعباده المؤمنين أن يخافوا منه دليل العبادة، وأيضا في الآية أن الخوف من الله عز وجل من الإيمان، والخوف الصحيح من الله عز وجل هو الذي يحول بين العبد وبين معصية الله تعالى. ويسمى الخوف المحمود، وهو خوف العبادة. فالإنسان يخاف من الله عز وجل تعبدا لله تعالى وتذللًا بين يديه.

والثاني: الخوف الذي هو عادة، فهو الخوف الذي هو من طبيعة البشر، كأن يخاف من العدو، ومن الشيء المؤذي كالسباع، وهذا الخوف طبيعي.

فإذا حملك على ترك طاعة أو فعل معصية ولم تصل إلى درجة الاضطرار فإنه يسمى بخوف معصية.

وأما الخوف الشركي فهو أن تصرف العبادة لغير الله تعالى، فتخاف من غير الله تعالى تعبدًا لهذا المخوف منه، كخوفه من الله تعالى، أو لاعتقاد أنه يقدر على النفع والضر.

وإذا خاف من غير الله تعالى لاعتقاده أنه ينفع أو يضر أو ما أشبه ذلك فهو شرك في الربوبية.

****

- وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. ودَلِيلُ التَّوكُلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وَقَوْلُهِ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

الشرح:

(وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾) الرجاء، هو: الطمع في حصول الخير، أو دفع الشر.

وهذه الآية تدل على أن الرجاء إلى الله عز وجل عبادة، وينقسم الرجاء كما ينقسم الخوف عادة وعبادة، فمن رجا مخلوقاً حياً حاضراً فيما يقدر عليه هذا جائز، وإن كان فيما لا يقدر عليه فهو شرك، لأنه صرف العبادة لغير الله تعالى.

والآية صريحة في أن الرجاء الصحيح ما اشتمل على التوحيد والاقتداء والعمل.

والرجاء من غير عمل أماني كاذبة.

(ودَلِيلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وَقَوْلُهِ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾) أمر الله عز وجل بالتوكل وجعل ذلك ركنًا في الإيمان، وهذا دليل صريح على أن التوكل عبادة.

والتوكل، هو: اعتماد القلب على الله عز وجل في حصول المطلوب أو دفع المكروه مع الثقة به سبحانه وفعل الأسباب.

والآية تدل على أن التوكل ركن في صحة الإيمان، وشعبة من شعبه، الإيمان.

ويقع الإنسان في الشرك في باب التوكل إذا اعتمد بقلبه اعتمادًا كليًّا ونحوه على غير الله عز وجل، فهذا شرك الأكبر؛ لأن التوكل عبادة وهذا صرف العبادة لغير الله عز وجل.

والقاعدة العامة في هذا الباب: (الاعتماد على السبب شرك، وترك الأسباب حماقة وضلال).

ومن قال: إن السبب له تأثير مستقل فهو مشرك في الربوبية. ومن قال: إن السبب ليس له تأثير بالكلية فهذا باطل. فالسبب له تأثير وهذا التأثير يكون بإذن الله عز وجل.

(﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾) وهذه الآية دليل ثانٍ ذكره المصنف رحمه الله تعالى على أن التوكل عبادة من أجل أنواع العبادة، فمعنى الآية ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: يعتمد عليه في أموره فهو كافيه، ومن كان الله تعالى كافيه فلا مطمع لأحدٍ فيه.



- وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾. وَدَلِيلُ الخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾، وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.

الشرح:

(وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾)

مدح الأنبياء بأنهم اتصفوا بهذه الصفات دليل واضح على أن هذه الثلاث عبادة.

والرغبة، هي: طلب الشيء المحمود والحرص عليه.

والرهبة، هي: تمكن الخوف من القلب. والخشوع، هو: التذلل لله عز وجل.

(وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾) والخشية: هي أعلى درجات الخوف.

فإذا كانت الخشية من الله عز وجل فهي الخوف المبني على العلم بعظمة الله عز وجل.

وهذه الأربع الكلام فيها كالكلام على الخوف والرجاء.

والقاعدة المعروفة عند أهل السنة في باب الخوف والرجاء: أن المسلم يجمع بين الخوف والرجاء فإذا خلى قلبه من أحدهما ضل، إن كان يخاف الله تعالى ولا يرجوه فهذا هو اليأس وهو كفر، ومن كان يرجو الله تعالى ولا يخافه فهذا هو الأمن من مكره تعالى وهو كفر.

والعبد يعيش بين الخوف والرجاء لكن يستحسن للشخص في حياته أن يغلب الخوف حتى يكون زاجرًا من التقصير والمعاصي، ويستحب له عند موته ومرضه أن يغلب الرجاء، وإحسان الظن بالله عز وجل.

(وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾) أمر الله عز وجل بالإنابة دليل على أنها عبادة، فمن صرفها لغير الله تعالى فقد أشرك.

والإنابة معناها: الإقبال على عبادة الله تعالى والتوبة إليه.

والإنابة أعلى من التوبة، فهي تعم التوبة المقرونة بالإقبال على الله عز وجل برغبة.

والإقبال على الطاعة عمومًا ولو لم يذنب يسمى إنابة.



- وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَفِي الحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

- وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾.

- وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

الشرح:

(وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ) الاستعانة: طلب العون.

والاستعاذة: هي طلب العوذ والحماية.

والاستغاثة: طلب الغوث والنجدة والنصرة حال الشدة.

وثلاثتها من باب الدعاء، ويقوم بالقلب منها الاعتماد والاعتقاد كما مر باب الدعاء.

فمن استعان بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه فقد وقع في الشرك الأكبر.

أما إذا استعان بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه من الجائز فهذا ليس من الشرك.

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

(﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾) لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك.

(وَفِي الحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ») أي: اجعل ثقتك واعتماد قلبك في طلب العون على الله عز وجل، ولا تجعل الالتفات إلى المخلوقين إلا من باب الأسباب.

ومن اعتقد بالمخلوق أنه سيجلب نفعًا أو يدفع ضررًا من دون الله تعالى فقد وقع في شرك الربوبية.

(وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ) الاستعاذة عبادة، وصرف العبادة لغير الله تعالى شرك.

منها ما هو جائز كما تقدم في الدعاء والاستعانة.

(﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾) أعوذ: ألجأ وأعتصم بالله تعالى ليدفع عني شر كل ذي شر.

(وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾)

الدعاء في حال الشدة والكربة يسمى استغاثة، والاستغاثة بالله تعالى عبادة.

والاستغاثة إن كانت بمخلوق فيما يقدر عادة لا عبادة فجائز كما تقدم.

ومن استغاث بالأموات أو بالجن وبالغائبين هذا شرك؛ لأن الشخص لا يستغيث إلا وهو يظن أنهم يقدرون على إغاثته، وهذا شرك في الربوبية، وأما دعاؤه واستغاثته إياهم فهو شرك في الألوهية.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ هذا دليل أن الاستغاثة عبادة.

والآية في سياق الكلام على معركة بدر.



- وَدليلُ الذَّبْحِ: قَوْلُه تَعالَى: ﴿قُلْ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيايَ ومَماتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ﴾، ومِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبحَ لِغَيْرِ الله»[١].

- وَدليلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

الشرح:

(وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»)

الذبح، هو: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص.

فإذا قصد بالذبح التقرب إلى الله عز وجل فهو عبادة، وإذا قصد بالذبح التقرب إلى غير الله عز وجل فهو شرك أكبر.

فالذبح ينقسم إلى قسمين اثنين: إما أن يكون عبادة وإما أن يكون معصية، ثم المعصية إما أن تكون شركًا وإما أن تكون محرمًا دون الشرك، أو بدعة.

فالذبح بقصد التقرب للمقبورين للجن أو للأحياء فهذا شرك أكبر.

وأما إذا ذبح لله تعالى في مكان غير مشروع كالذبح عند القبر أو في مكان بدعة، يقول: أنا أذبح لله تعالى لكن أذبح في هذا المكان تبركًا، وأعرف أن البركة من الله تعالى، فهذه بدعة ضلالة وصاحبها ملعون، كما في الحديث: (لعن الله من ذبح لغير الله).

ومن جهة أخرى ينقسم الذبح إلى أربعة أقسام:

الأول: أن يذكر اسم الله عز وجل وينوي به التقرب إلى الله تعالى فهذا عبادة.

الثاني: أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى ويذكر اسمًا غير اسم الله عز وجل، كأن يقول: باسم المسيح، باسم فلان الولي، باسم الجن، فهذا شرك أكبر، ولا يجوز أكل تلك الذبيحة؛ لأنها في حكم الميتة، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾.

(١) رواه مسلم (١٩٧٨) عن علي رضي الله عنه.

الثالث: أن يذكر اسم غير الله تعالى، ويقصد به التقرب إلى غير الله تعالى فهذا شر أنواع الكفر.

الرابع: أن يذكر لا اسم الله تعالى ولا اسم غيره لكن ينوي بها لغير الله تعالى، فهذا أيضًا من الشرك الأكبر.

(﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ﴾) أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى، ويذبحون لغيره: ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ أي: ذبحي، والناسك: المخلص لله، ﴿وَمَحْيَايَ﴾ أي: ما أحيا عليه من العمل الصالح، ﴿وَمَمَاتِي﴾ أي: ما أموت عليه، ﴿لله رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾ في شيء من ذلك، ولا في غيره من أنواع العبادة. وقال تعالى: ﴿فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، فقرن الله تعالى بين الصلاة والذبح.

(وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ») اللعن: الطرد والإبعاد، وهو إخبار عن طرد المشرك من رحمة الله تعالى.

(وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾)

النذر: التقرب بإلزام العبد نفسه بشيء لا يجب عليه شرعًا.

وهو ينقسم إلى: نذر مطلق، ونذر مقيد.

فالنذر المطلق: الذي لا يقرن بقيد.

والمقيد: ما قُيد بمصلحة أو طلب.

فالأول مستحب على الراجح لأن الله تعالى مدح فاعله، كما في الآية ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ أي: ينذرون ويوفون، فهو مدح للفعل والوفاء معًا.

وأما إذا قيد فهو مكروه، مثل أن يقول: إن شفا الله تعالى مريضي فله كذا.

فهذا يظن أن الله تعالى لن يعافي مريضه إلا بشرط كذا، أو بقربة كذا.

أو كأنه يشترط على الله تعالى: اشف مريضي أو أعطني أتقرب بكذا.

فمن أجل هذا القيد يكره، والأحاديث الواردة في كراهية النذر تنطبق على القسم الثاني فقط.

والنذر عبادة، وما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

والذين ينذرون للمقبورين وللجن أو للسحرة... هؤلاء يقعون في الشرك في النذر.

ولو نذر شيئًا يسيرًا فإنه قد عبد بذلك غير الله عز وجل.



[الأصل الثاني: معرفة العبد دينه]

- الْأَصْلَ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

الشرح:

(الْأَصْلَ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ) الأصل الثاني يتحدث عن الإسلام والإيمان والإحسان، وهذه الثلاثة الأمور هي دين المسلم؛ كما في حديث جبريل الطويل وفي آخره بعد ذكر الإسلام والإيمان والإحسان قال: (إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم).

ويجب على المسلم أن يتعلم دينه قدر المستطاع.

وقوله: (بالأدلة) أراد أن يخرج التقليد، وقد تقدم حكم التقليد.

(وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ) هذا تعريف الإسلام الذي جاءت به جميع الرسل من لدن آدم إلى نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام، يدعون جميعًا إلى الاستسلام لله تعالى بالتوحيد بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

والاستسلام لله تعالى: أن تعتقد أن توحيده وشرعه حق وتعمل بذلك تعبدًا.

فيكون دينك سالمًا من الشرك والبدع.

(وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ) والانقياد بالجوارح والقلب للطاعة، فإن الطاعة من لوازم التوحيد.

وهي فعل المأمور وترك المحظور، فيشمل فعل الواجب والمستحب، وترك المحرم والمكروه.

(وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ) البراءة من الشرك أحد أركان التوحيد والإسلام، فلا يتم توحيد عبد ولا يصح إسلامه إلا بالبراءة من الشرك وأهله. ولا يكفي المسلم أن يكون موحدًا، ولا أن يكون مجانبًا للشرك وأهله، لا بد أن يبرأ منهم. وأصل البراءة البغض والمعاداة والتباعد عنهم وعن التشبه بهم. كما دل على ذلك أدلة ومنها ما سيأتي ذكره عند الكلام على الشهادة.

والإسلام بمعناه الخاص: هو دين نبينا محمد ﷺ.

****

وَهُو ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإسْلامُ، وَالإيمَانُ، وَالإحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَلَّا إلَـهَ إلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

الشرح:

(وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ) يعني: ثلاث درجات بعضها أرفع من بعض.

(الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ) الإسلام هذه هي الدرجة الأولى، والإيمان وهذه الدرجة الثانية أرفع، والإحسان الثالثة ودرجته أرفع من الإسلام ومن الإيمان، فكل محسن مؤمن مسلم ولا عكس.

وأهل السنة يقولون: إن الإسلام إذا اجتمع مع الإيمان في حديث واحد أو في آية واحدة فإن معناهما يختلف فالإسلام، هو: الأعمال الظاهرة، والإيمان، هو: الأعمال الباطنة.

وإذا ذكر أحدهما بمفرده فإنه يشمل الآخر.

ومن قال: الإيمان بمعنى الإسلام مطلقًا فقد غلط، وهو قول لأهل البدعة.

(وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ) أركان وقواعد لا تقوم إلا بها.

(فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ...) فمن فقدها كلها فليس بمسلم، كما أن من أخل بالشهادتين ليس بمسلم.



فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُه تَعالَى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ وَحْدَهُ.

«لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ. «إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ.

لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

الشرح:

(فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: اسْتَشْهد سُبْحَانَهُ بأولى الْعلم على أجل مشهود عَلَيْهِ وهو توحيده...

وقال: فتضمنت هذه الآية وهذه الشهادة الدلالة على وحدانيته المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشهادة له بالتوحيد والعدل والقدرة والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة.

ولا يقوم بهذه الشهادة على وجهها من جميع الطوائف إلا أهل السنة، وسائر طوائف أهل البدع لا يقومون بها.

(شَهِدَ اللهُ) شهادة وإخبار أنه لا يعبد بالحق إلا هو سبحانه وتعالى، وشهدت الملائكة على ما شهدت الله عز وجل به، أي: شهدوا لله عز وجل بالوحدانية، وأنه لا يعبد بالحق إلا الله سبحانه وتعالى وشهد أهل العلم كذلك أنه لا يعبد بالحق إلا الله سبحانه وتعالى وأنه قائم بالقسط أي: بالعدل.

وهذا يدل على أن الدين قائم على العدل والتوحيد.

(وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ وَحْدهُ) لَا معبود بِحَق إِلَّا إِلَه وَاحِد وَهُوَ الله وَحده لَا شريك لَهُ، لِأَنَّهُ الْمُسْتَحق لِلْعِبَادَةِ فتضمنت هَذِه الْكَلِمَة الْعَظِيمَة أَن مَا سوى الله من سَائِر المعبودات لَيْسَ بإله حق وَأَنه بَاطِل، لِأَنَّهُ لَا يسْتَحق الْعِبَادَة.

وَلِهَذَا كثيرا مَا يرد الْأَمر بِعبَادة الله مقرناً يَنْفِي عبَادَة مَا سواهُ، لِأَن عبَادَة الله لَا تصح مَعَ إشراك غَيره مَعَه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت﴾.

وَقَالَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (وَمن قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله وَكفر بِمَا يعبد من دون الله حرم دَمه وَمَاله)، وكل رَسُول يَقُول لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾.

إِلَى غير ذَلِك من الْأَدِلَّة. أ،هـ

(«لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله. «إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لله وَحْدَهُ)

فالنفي في (لا إله) تنفي استحقاق العبادة عن جميع الآلهة غير الله تعالى، فإنها لا تستحق العبادة، وإن عبدت فذلك باطل غير نافع، بل عابدها مشركٌ خالد في النار.

والإثبات في (إلا الله) إثبات استحقاق الله تعالى لأَنْ يُعبد؛ لأنه الرب، الخالق المدبر، المنعم، الكامل في أسمائه وصفاته وأفعاله، لا معبود بحق سواه.

قال تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

وهذا هو الإخلاص لله تعالى.

والنفي مقرون بالإثبات فلا يجوز للشخص أن يفرد النفي ولا أن يفرد الإثبات.

وقد غلط كثير من الناس في هذه معنى الشهادة كما وضحناه في موضع آخر.

(لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ) كما أقررتم بتفرده الربوبية يلزمكم كذلك أن تفردوه بالألوهية والعبادة. فهذه الجملة من باب الإلزام والتقرير.

(وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾)

هذا هو تفسير الشهادة أن المسلم يوحد الله عز وجل ويبرأ من الشرك وأهله.

فقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا معنى النفي (لا إله)، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هذا معنى الإثبات: (إلا الله). ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «أي: جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبودٍ سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم عن بعض، وهي كلمة لا إله إلا الله. وهي التي ورَّثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة»(١).

(﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَّ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾).

كلمة سواء وهي كلمة التوحيد، وهي: (ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له)، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله).

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أربابًا: معبودين، لأنهم يقدسون زعماءهم وأحبارهم حتى ويعبدونهم من دون الله تعالى، فإذا أحل الحرام قالوا كما يقول أسيادهم، وإذا حرموا عليهم الحلال كذلك، فَصرفوا لَـهُم الطاعة التي لَا يجوز أن تصرف الا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وهذا هو شرك الطاعة.

****

(١) "بدائع التفسير" (١٣٣).

وَدليل شَهَادةِ أنَّ مُحمدًا رَسولُ الله: قَوْلُه تعالَى: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وَمعْنَى شَهَادَةِ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أمَرَ، وتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وألا يُعْبَدَ الله إلا بِمَا شَرَعَ.

الشرح:

(وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله) شهادة (أن محمدًا رسول الله) جزء من الركن الأول من أركان الإسلام، وأكثر فضائل كلمة التوحيد وأحكامها جاءت مقرونة بالشهادتين معًا. فهما كالكلمة الواحدة.

(﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾) والشاهد من الآية (رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) وأصرح من هذه الآية قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله﴾، والأدلة على ذلك كثيرة، وقد وصف الله عز وجل عن النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الآية بأربع صفات: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ يعني: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم، الثانية: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ يريد لكم الخير، والثالثة: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ ﴾ أي: رفيق، والرابعة: ﴿ رَحِيمٌ﴾ كثير الرحمة والشفقة عليهم.

(وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ) هذا تفسير للشهادة بمقتضاها، وهو نوع من التعاريف.

وأوضح منه: أن معنى الشهادة هذه مشتق من لفظ (رسول) فالرسول لغة: المرسل برسالة.

وشرعًا: عبد اختصه الله عز وجل بالوحي وصفات عظيمة وبعثه بشريعة جديدة إلى قوم مخالفين. وغالبًا ما تبعث الرسل إلى المكذبين.

ومعنى (محمد رسول الله) الإيمان والإقرار أن محمدًا مبعوث من الله عز وجل بالحق إلى الإنس والجن كافة.

وهذا هو المعنى، وهو الذي قرره الشيخ ابن عثيمين والشيخ صالح آل الشيخ والشيخ صالح الفوزان في شروحهم لكلام المؤلف.

فلابد من الإيمان برسالته ظاهرًا وباطنًا، وبأنه رسول أرسله الله تعالى بالحق إلى الإنس والجن كافة.

(طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ) تصديقه والعمل بأمره، فمن آمن أنه رسول الله لزمه أن يطيعه.

(وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ) من الغيبات والتوحيد والشرع...

(واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ) أن تبتعد عما نهى عنه وزجر عن فعله.

(وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ) من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، لا بالبدع والأهواء.

****

- وَدَلِيلُ الصَّلَاة، وَالزَّكَاة، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيد: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

- وَدَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

الشرح:

(وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾)

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ جميع الخلق من آدم إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها أمروا بهذا الأمر بالتوحيد والعبادة. ﴿لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ تقدم الكلام عليه أول الكتاب.

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾، وذلك الذي أمروا به وهو عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، هو الملة والشريعة المستقيمة، التي لا اعوجاج فيها.

وأما الصلاة: فهي لغة: الدعاء.

وشرعًا: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، مع النية، تؤدى تعبدًا لله تعالى.

ومعنى ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾: القيام بأركانها وشروطها وأذانها، وفي المكان الذي أمرنا به، وغير ذلك من لوازمها.

والزكاة لغة: النماء والتطهير.

وشرعًا: إخراج الحق الواجب من المال الذي تجب في الزكاة تعبدًا.

ومعنى ﴿ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾: إخراجها ودفعها إلى مستحقيها تامة شروطها حسنة أنواعها.

(وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ) معناه، هو: الإخلاص لله تعالى والبراءة من الشرك وأهله، كما هو ظاهر الآية.

(ودَلِيلُ الصِّيَامِ) الصيام في اللغة: الإمساك.

وشرعًا: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس تعبدًا لله تعالى.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، فُرض ووجب الصيام في شهر رمضان، وهو من أركان الإسلام بالإجماع. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ﴾ فرض في شرائع الرسل قبل نبينا عليهم الصلاة والسلام.

(ودَلِيلُ الحَجِّ) الحج في اللغة: القصد.

وشرعًا: قصد المشاعر المقدسة لأداء مناسك الحج المشروعة في زمن مخصوص تعبدًا لله تعالى.

﴿وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب عليهم في العمر مرة، وهو ركن من أركان الإسلام بالإجماع.

﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ من ملك الزاد له ولمن يعول، والراحلة وأمن الطريق

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ جحد الحج أو غيره من الدين فلن يضر إلا نفسه، وأجمع العلماء على أن من جحد ما هو معلوم من الدين بالضرورة فقد كفر.

والحج يجمع العبادات الاعتقادية، والعبادات العملية الفعلية البدنية، والعبادات المالية، والعبادات القولية والقلبية، فهو من أفضل الأعمال.

لكنه يعتبر دون الأركان الأربعة التي قبله.



المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإيمانُ؛ وَهوَ: بِضعٌ وَسبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ: لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاها إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

الشرح:

(المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ) الإيمان لغة التصديق مع الإقرار.

وشرعًا: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والدليل على هذا التعريف حديث أبي هريرة في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»

فهذا شمل الأنواع الثلاثة، كما أن قوله (أفضلها وأدناها) يدل على أن الإيمان يزيد وينقص.

(وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ: لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) شعب الإيمان هي الأعمال والأقوال والاعتقاد، مرجعها إلى العدد المذكور في الحديث، ثم كل شعبة تتضمن أعمالًا كثيرة، وأحكامًا متنوعة، فالصلاة تكتب في نحو عشرين مجلد عند التفصيل، وهي شعبة من شعب الإيمان، وقد اجتهد غير واحد فألف ما ظهر له أنه من أصول شعب الإيمان، والله الموفق.

(وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)

قال ابن رجب : تعالى: «اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وأتباعهم، وهي أصل العقيدة التي تنجي من عذاب الله تعالى»[(١)].

الإيمان بالله: هو الإقرار والاعتقاد الجازم، بوجود الله ﷻ وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. وذلك يشمل أغلب مسائل التوحيد والإيمان، والغيبيات.

والإيمان بالملائكة: (مجمل): نؤمن بوجودهم وبما علمنا عنهم في الكتاب والسنة وبما لم نعلم.

(ومفصل): نؤمن بما ورد من صفاتهم وأعمالهم وخلقهم كصفة جبريل وأن له ستمائة جناح، وبميكائيل وإسرافيل ومالك خازن النار، وأن عدد خزنة النار تسعة عشر، وأن جبريل أمين الوحي، وأن من حملة العرش ملك ما بين أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام... إلى غير ذلك مما صح عن الملائكة.

والإيمان بالكتب: وهو على قسمين أيضًا:

(مجمل): وهو الإيمان بجميع الكتب المنزلة ما علمنا منها وما لم نعلم فمن كفر بواحد منها فقد كفر بالجميع.

(والإيمان المفصل): الإيمان بأنها كلام الله ﷻ غير مخلوق، ونؤمن بأسماء ما ذكر الله ﷻ منها كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور، وأن القرآن ناسخ لجميع الكتب السابقة وهو أفضلها... إلخ.

والإيمان بالرسل: وهو أيضًا على قسمين:

(مجمل): وهو الإيمان بجميع الرسل ما علمنا منهم وما لم نعلم، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالجميع.

---

(١) جامع العلوم والحكم.

(مفصل): الإيمان بمن ذكر الله ﷻ منهم ورسوله ﷺ وبأسمائهم وأخبارهم وبعصمتهم من الكبائر، وأنهم بلغوا ما أرسلوا به، وأن نبينا محمدًا ﷺ خاتمهم وخيرهم... إلخ.

والإيمان باليوم الآخر: ويشمل الإيمان بالموت وبنعيم القبر وعذابه وفتنته والبعث والنشور والحساب والميزان والجنة والنار... إلخ، وبما ذكر الله ﷻ ورسوله ﷺ من أخبارها وأحوالها.

والإيمان بالقدر خيره وشره: نؤمن بأن الله ﷻ قدر الخير والشر، فلا يقع شيء إلا بتقديره سبحانه وله الحكمة البالغة.

ومراتب القدر أربع:

١- العلم: أن الله ﷻ علم كل شيء أزلًا وأبدًا، وأن الله بكل شيء عليم.

٢- الكتابة: أن الله ﷻ كتب كل ما هو كائن في اللوح المحفوظ.

٣- المشيئة: أن الله ﷻ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يقع شيء إلا بمشيئته.

٤- الخلق: أن الله ﷻ خالق كل شيء، خلق الخلق وأعمالهم خيرها وشرها.

(وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّة) هذا شمل أركان الإيمان الخمسة، ودليل القدر يأتي، وقد جمعت في حديث جبريل الآتي.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ العمل الصالح، (أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) ليس البر مجرد الصلاة دون مراعاة لأحكام الشرع فيها، (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) ولكن البر امتثال أوامر الله تعالى واتباع ما شرع، وعلى رأس ذلك هذه الأركان الخمسة، التي هي أساس الدين والتسليم لله رب العالمين.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ليس من مخلوق من المخلوقات إلا وقد خلق بقدرٍ سابقٍ من الله جل وعلا، لا يخرج شيء عن خلقه وقدره.

****

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإحْسانُ رُكْنٌ واحِدٌ، وهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراه، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراك. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمَنْ يُسلِمْ وجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ الآية. وقوله ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، وقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، وقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآيَة.

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ المَشْهُورُ[١]، عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الإِسْلامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ - فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ -.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟

قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. [قَالَ: صَدَقْتَ][٢].

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

الشرح:

الاحسان إذا أطلق يشمل أمرين: **الأول**: الإحسان في عباده الله تعالى بالتوحيد والاتباع لشرعه،

---

(١) (م ٨)، وفي بعض النسخ زيادة «جلوس» وليست من الحديث في مسلم.

(٢) هذه الزيادة في المخطوطات، وليست في مسلم.

ومنه الإحسان في الخشية، وهو المذكور في الحديث: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ) فتعبده عبادة الخشية والخوف، (فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) فتعبده لإيمانك أنه يراك ويرى عملك وقلبك، وهذه هي المراقبة، وهي أعلى النوعين منزلة.

والثاني: الإحسان إلى الخلْق، وهو من أعلى مراتب الأخلاق.

فلا يبلغ مرتبه الإحسان بقسميها إلا من جمع الإيمان والدين والتقوى.

(﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ الآية) أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه، ولهذا قال: (وهو محسن) أي: في عمله باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر فقد استمسك بالعروة الوثقى، وهي: لا إله إلا الله.

(﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾) التقوى: فعل المأمور وترك المحذور، وعلى رأس ذلك القيام بالتوحيد، والحذر من الشرك، وهذه هي مرتبة الإحسان كما دلت عليه آخر الآية.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1]، الشاهد لمرتبة الإحسان: أن من اعتمد قلبه على الله تعالى لم يلتفت إلى غيره، وأقبل على رضا ربه تعالى، وهذا هو الإحسان، والله أعلم.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، هذا كقوله في الحديث: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فعلامة الإحسان أن العبد يعمل لله تعالى الذي يراه، ولا يرائي في عمله.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الْآيَة) هذه الآية التي تدل على عظيم علم الله تعالى، وعظيم اطلاعه على الخلق، وتدعوك إلى المراقبه التي هي ركن الإحسان.

---

(١) هذه الآية ليست في بعض المطبوع، وهي من المخطوطات الثلاث.

والدليل من السنه حديث جبريل المشهور عن عمر رضي الله عنه، وهو حديث عظيم، ويسمى أم السنة، وقد جمع المراتب الثلاثة، ويدل على أن الدين يزيد وينقص، وأن بعضه أفضل من بعض.

(طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ) تمثل جبريل بصورة رجل، وهذا مما أقدره الله تعالى عليه.

(يَا مُحَمَّدُ) ناداه باسمه ليلفت انتباه الحاضرين.

(أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ) أي: حدثني عن أهم خصاله وأركانه.

(أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ) أي: حدثني عن أهم خصاله وأركانه.

(فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ) متى تقع، (مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ) لأن علم قيامها من خصائص الله تعالى، فلا يعلمه جبريل ولا نبينا ولا غيرهما.

(أَمَارَاتِهَا) أشراط الساعة التي تدل على قرب قيامها.

(أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا) تلد لسيدها مولود يستعبدها لجهله بحرمة ذلك، بمعنى أن انتشار الجهل من علامات قرب قيام الساعة، لا سيما في مسائل التوحيد.

(الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ) لكثرة الأموال التي بأيدهم، وكثرة المال من علامات قرب قيام الساعة .

(أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُم) فالدين كله يرجع إلى ما ذكر في هذا الحديث.



الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.
وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.
- نُبِّئَ بِـ(اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرْ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

الشرح:

(مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ) هذا أصل عظيم، وهو أحد الأصول التي يسأل عنها المسلم في قبره.

وقد يسأل بلفظ: (ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟).

فإذا عرفت نبيك ﷺ في الدنيا بعلم واتباع؛ فإنه يسهل عليك أن تعرف الجواب قبرك وفي آخرتك.

ومن المهم للمسلم أن يعرف شيئًا من تفاصيل سيرة النبي ﷺ ؛ فإن ذلك يدعوه إلى محبته، ويعرف حياته التي ملئت بالدين والعبادة والتقوى والأخلاق.

وقد لخص المؤلف شيئًا من ذلك بأسلوب جميل جدًّا.

(وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ) هذا نسب النبي ﷺ لا خلاف فيه بين العلماء والنسابة. واسمه محمد وأحمد، وله أسماء كثيرة لعلها تزيد على العشرة.

وقد أوصلها بعض الصوفية إلى الألف، وهذا من الغلو الذي لا يستفيد صاحبه منه في الدنيا ولا في الآخرة، بل يصل بكثير منهم إلى الشرك الأكبر.

فتعظيم النبي ﷺ بمحبته واتباعه والدعوة إلى سنته، وليس بالغلو وبالشطحات التي يأتي بها أصحاب الغلو من الصوفية وغيرهم.

(عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ) هذا عمل بقول النبي ﷺ: «صلوا على النبيين إذا ذكرتموني فإنهم قد بعثوا كما بعثت» رواه ابن عساكر وغيره عن وائل بن حجر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا) تعمر النبي ﷺ ثلاثة وستون سنة، وهذا مجمع عليه، كما في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ» متفق عليه.

(نُبِّئَ بـ(اقْرَأ)) أول ما نزل عليه من الوحي خمس آيات من أول سورة العلق، كما في حديث عائشة في الوحي، ﴿قْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾،

والنبوة: أن يوحي إليه بأنه نبي، ويأمره بالدعوة إلى توحيده وشرعه.

والنبي يبعث في قوم المسلمين غالبًا فيجدد شريعة رسول قبله، سواء دون زيادة أو نقص، أو جاءَ بزيادة أو بنقص، والرسول، هو: من أوحي إليه بشرع جديد وأرسل إلى قوم مخالفين. هذا في الغالب.

(وَأُرْسِلَ بالْمُدَّثِّرْ) لم تنزل سورة المدثر إلا وقد علم أنه نبي ورسول، وهذا التفصيل من المؤلف اجتهاد، لأن سورة المدثر فيها الأمر بالدعوة والنذارة، والله أعلم.

(وَبَلَدُهُ مَكَّةُ) مكة البلد الحرام، وهي بلد قريش، وكانت قبل قريش لخزاعة حتى أخذتها قريش وأخرجت خزاعة منها.

****

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيدْعو إلى التَّوْحيد؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وربَّك فكبِّرْ (٣) وثِيابك فطهِّرْ (٤) والرُّجْزَ فاهْجُرْ (٥) ولَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) ولِربِّك فَاصْبِرْ (٧)﴾. ومَعْنَى: ﴿قُمْ فأَنْذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْك، ويَدْعو إلى التَّوْحيد.

﴿وربَّكَ فكَبِّرْ﴾: أيْ: عظِّمْهُ بالتَّوْحيد. ﴿وثِيابكَ فطهِّرْ﴾: أيْ: طَهِّرْ أعمالك عَنِ الشِّرْك.

﴿والرُّجْزَ فاهْجُرْ﴾ الرُّجْزَ: الأَصْنَام. وهجْرُها: تَرْكُها، والْبراءةُ مِنْها وأَهْلِها.

الشرح:

(بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ) أعظم وأعلا ما بُعث به ﷺ أنه بعث بالنذارة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، وقدم المصنف النذارة عن الشرك قبل الدعوة إلى التوحيد، لأن هذا موافق لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهو المفهوم من قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.

﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وصف لحال النبي ﷺ بعد أن نزل عليه جبريل.

(وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ) وهذا أعظم ما أمر الله تعالى به، ولأجله شرع الجهاد.

(﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ) فإن الشرك مع كونه أظلم الظلم فهو هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين.

(﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ). الآية تشمل جميع أنواع الطهارة؛ لأن تطهير الملابس غير مراد في هذه الآية؛ لأن الصلاة لم تفرض في ذلك الوقت، فالمراد هنا الأعمال كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾؛ فالعمل يسمى لباسًا)، هذا حتى لا تتوهم أنه بعيد المعنى.

(﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ. وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا) الرجز: الشرك بجميع أنواعه. ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ لأن الدعوة تحتاج إلى صبر كما تقدم.

- أَخَذَ على هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إلى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ.

الشرح:

(أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ) هذا هو المشهور في كتب السيرة.

منها ثلاث سنوات دعا سرًّا، ثم أمره الله عز وجل أن يجهر بالدعوة؛ فجهر بها.

(وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ) عرج: صعد من الأرض إلى السماء، صعد به جبريل عليه السلام. والمعراج ثابت في السنة وأجمع عليه أهل السنة ولم ينكره إلا بعض أهل البدع.

وكان آية وكرامة للنبي ﷺ وتأييدًا له.

(وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ) لما انتهى إلى سدرة المنتهى فرض الله تعالى عليه وعلى أمته خمسون صلاة ثم خففت إلى خمس، والأحاديث في ذلك مشهورة صحيحة، في الصحيحين منها طائفة.

وأصل مشروعية الصلاة كانت في بداية النبوة، فكان النبي ﷺ يصلي ركعتين ركعتين، حسب ما علمه الله عز وجل.

فلما عرج به فرضة عليه الصلوات الخمس بالصفة المعروفة.

(وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ) وفرض الصلاة في وقت مبكر يدل على أنها عبادة جليلة وأنها متعلقة بتوحيد الله سبحانه وتعالى، فالصلاة كلها توحيد، كما شرحناه في موضع آخر.

ولذلك عد النبي ﷺ ترك الصلاة من الشرك أو من الكفر كما في حديث بريدة: (بين الرجل وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة).

****

وبعدها أُمر بالْهجْرة إلى الْمدينَة. والْهجْرَةُ: الانْتقالُ منْ بَلد الشِّرْك إلى بَلد الإسْلام.

والْهجْرَةُ فريضةٌ على هذه الأُمَّة منْ بلد الشِّرْك إلى بلد الإسْلام، وهي باقيةٌ إلى أنْ تقُومَ السَّاعَةُ.

والدَّليلُ قوْلُه تعالَى: ﴿إنَّ الَّذينَ توفَّاهُمُ الْمَلائكةُ ظَالمي أنْفُسهمْ قَالُوا فيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفينَ في الْأَرْض قَالُوا ألَمْ تكُنْ أرْضُ اللَّه واسعةً فتُهاجرُوا فيهَا فَأُولَئك مأْواهُمْ جهَنَّمُ وسَاءَتْ مَصيرًا * إلَّا الْمُسْتَضْعَفينَ منَ الرِّجال والنِّساء والْولْدَان لَا يَسْتَطيعُون حيلَةً ولَا يَهْتَدُون سَبيلًا * فأُولَئك عسَى اللَّهُ أَنْ يعْفُو عنْهُمْ وكَانَ اللَّهُ عفُوًّا غفُورًا﴾. وقَوْلُه تعالَى: ﴿ياعبادي الَّذينَ آمَنُوا إنَّ أَرْضي وَاسعةٌ فَإيَّايَ فَاعْبُدُون﴾.

قَالَ الْبُغَويُّ رحمه الله تعالى: «سَبَبُ نُزُول هَذه الآيَة: في المُسْلمينَ الَّذينَ بمكَّةَ لمْ يُهَاجرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ باسْم الإيمَان».

والدَّليلُ علَى الْهجْرة منَ السُّنَّة: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطعُ الْهجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطعَ التَّوْبَةُ، ولا تَنْقَطعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ منْ مَغْربهَا»(١).

الشرح:

(وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الَمدِينَةِ) وكان اسمها قبل الهجرة يثرب، فلما هاجر إليها النبي ﷺ سميت بالمدينة النبوية، ويكره أن تسمى بيثرب.

والله جل وعلا أمر رسول ﷺ بالهجرة، فأرسل أصحابه أولًا ثم لحق في آخرهم.

وكان خروجه من مكة في شهر صفر فوصل إلى المدينة في شهر ربيع أول.

(وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ) هذا هو تعريف الهجرة في الشرع.

والهجرة مستحبة لكل مسلم مقيم في بلد غير مسلم.

وتجب إذا كان المسلم لا يقدر على إظهار دينه في البلد الذي هو فيه.

والأصل الأصيل الذي من أجله شرعت الهجرة هو إقامة التوحيد، ومفارقة المشركين.

---

(١) رواه أحمد (٤ / ٦٢) وغيره عن جنادة بن أبي أمية رضي الله عنه، وصححه الشيخان.

الجامع الصحيح (٣/ ١٩١).

ولما كان النبي عليه الصلاه والسلام وأصحابه في مكة كان المشركون يعادونهم ويؤذونهم، ويحولون بينهم وبين إظهار بعض شعائر التوحيد فأمر الله عز وجل بالهجرة إلى بلد يقدر المسلم فيه على إظهار جميع شعائر التوحيد والإسلام.

(وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ) الهجرة فرضها الله عز وجل على هذه الأمة وعلى جميع الأمم، فموسى عليه السلام لما حورب في إقامه الدعوة والتوحيد في حكم فرعون هاجر بأصحابه باتجاه الشام.

(وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ) على مر العصور، لا يغير حكمها شيء، ولا يزال المسلمون يهاجرون من بلاد الكفر حتى صارت في زماننا قضايا الحدود بين الدول والدبلماسيات فضيقوا على كثير من المسلمين، ومنعوهم أن يهاجروا، ومنعوا الدول من استقبالهم.

لكن هذا أمر سينتهي بإذن الله عز وجل، وسيقوى أمر الهجرة إذا قوي أمر الجهاد.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾) هذا الوعيد بالعذاب يدل على ترك واجب، وكثير من الناس ربما تكون لديه دُنيا فيقول: أين نهاجر ونترك أموالنا؟

فالجواب في الآية التي بعدها: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ يفتح الله عز وجل عليه من واسع فضله.

﴿تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ نزلت فيمن خرج مع المشركين يوم بدر مكرهًا، فقتل في المعركة، فعاتبتهم الملائكة عند قبض أرواحهم بما ذكر في الآية.

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾) إذا لم يتيسر لك أن تقيم دينك في بلد فأرضُ الله عز وجل واسعة فهاجر حيث تأمن على دينك.

(قَالَ الْبُغَوِيُّ رحمه الله تعالى: «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ») البغوي رحمه الله تعالى هو صاحب التفسير، واسمه أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، وهو من أهل السنة، وفي تفسيره بعض الأغلاط اليسيرة من جهة العقيدة، لكنه في الجملة جيد.

ومعنى كلامه: ناداهم الله تعالى باسم الايمان لأنهم مسلمون، وليسوا منافقين، ولكنه توعدهم بالعذاب لتركهم الواجب، وهو الهجرة.

(وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا») الهجرة موجودة إلى قرب يوم القيامة، لأن التوبة لا تنقطع إلا بطلوع الشمس من مغربها، ولا يتعارض هذا مع قول النبي ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح) فالمراد: لا هجرة من مكة لأنها دار إسلام، وأما بقية بلاد الكفر فإذا ضُيّق عليه فينتقل إلى بلد الإسلام، وهذا باقٍ إلى قيام الساعة.



فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ؛ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، [وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ]. أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

الشرح:

(فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي المَدِينَةِ) العهد المكي وهو المدة التي بقي النبي ﷺ فيها بمكة، اعتنى فيه بالتوحيد أكثر، فلما انتقل ﷺ إلى المدينة توسع في العناية ببقيه العبادات والمعاملات والشرائع.

(أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ...) فرض الزكاة والصوم والحج والجهاد والأذان كان في المدينة بلا خلاف، واستمر ﷺ في الدعوة إلى التوحيد، وتعليم المسلمين والوفود التوحيد، وكان يجاهد من أجل التوحيد، فلم يترك النبي ﷺ الكلام عن التوحيد طوال عمره، وحتى في اللحظات الأخيرة من عمره.

(أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ) استوفى في المدينة عشرة سنوات دون زيادة، قضاها في الدعوة والتعليم والجهاد وغير ذلك.



وتُوفِّيَ ﷺ ودِينُه بَاقٍ، وهَذا دِينُه، لا خَيْرَ إلا دلَّ الأُمَّةَ عليْه، ولا شَرَّ إلا حذَّرها مِنْه.

والخيرُ الَّذي دلَّها عليْه: التَّوْحيدُ، وجميعُ ما يُحِبُّه الله ويرْضَاه.

والشَّرُ الَّذي حذَّرَها منْهُ: الشِّرْكُ، وجميعُ ما يكْرهُهُ الله ويأْباه.

بَعَثَهُ الله إلى النَّاس كافَّةً، وافْترَض طاعتَهُ على جميعِ الثَّقلَيْنِ الجنِّ والإنْس؛ والدَّلِيل قوْلُه تعالى: ﴿قُلْ يا أيُّها النَّاسُ إنِّي رسولُ اللَّه إليْكُمْ جميعًا﴾.

وأكْمَلَ اللهُ لَهُ الدِّينَ؛ والدَّليل قوْلُهُ تعالى: ﴿اليْومَ أكْملْتُ لكُمْ دينكُمْ وأتْممْتُ عليْكُمْ نعْمَتي ورَضِيتُ لكُمُ الْإسْلَامَ دِينًا﴾، والدَّليلُ على موْتِه ﷺ: قَوْلُهُ تعالَى: ﴿إنَّك ميِّتٌ وإنَّهُمْ ميِّتُون * ثُمَّ إنَّكُمْ يومَ القِيامةِ عنْدَ ربِّكُمْ تخْتَصِمُونَ﴾.

الشرح:

(وَتُوُفِّيَ ﷺ وَدِينُهُ بَاقٍ) مات في العام الحادي عشر للهجرة في الثاني عشر من شهر ربيع الثاني، وبقي دينه إلى أيامنا وإلى ما شاء الله سبحانه وتعالى، بل امتد الإسلام حتى بلغ سائر المعمورة، فلا يوجد بلد إلا وفيه مسلمون.

(وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا مِنْهُ) وذلك لأنه دين كامل، وصالح لكل زمان ومكان، ولجميع الناس.

(وَالخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ) التوحيد أصل الأصول، وكل عباده مرجعها إلى التوحيد، فالدين كله توحيد، ولوازم التوحيد.

(وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ) الشرك أظلم الظلم، وأفسد الفساد، وكل ما يكره الله تعالى يرجع إلى الشرك، فالبدع والمعاصي من شعب الشرك والكفر، أو من آثاره.

(بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾) بعثه الله تعالى إلى الناس كافة، وإلى الجن أيضًا، وهذا لا خلاف فيه، ولذلك كانت شريعته ﷺ ناسخة لجميع الشرائع السابقة.

ومن زعم الاستغناء عن شرعه ﷺ بعد بلوغ درجة معينة، فقد كفر، كما يدعيه غلاة القبورية.

(وَأَكْمَلَ اللهُ لَهُ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾) فالإسلام كامل من جهة العقيدة والعبادات، ومن جهة الأخلاق والمعاملات، ومن جهة الدين والدنيا، والروح والبدن...

فمن أتى ببدعة ليست في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولا فيما أجمع عليه العلماء فهي مردودة عليه، قال النبي ﷺ كما الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

(وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ) كل من عليها فانٍ، وكل نفس ذائقة الموت، لا يبقى ممن على وجه الأرض أحد، وقصة موته في الصحيحين وغيرهما.

(﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾) تقع الخصومة بين المسلمين والكفار حول التوحيد والدين، والنوع الآخر الخصومة في المظالم وهذه عامة لكل الخلق، كما سنوضح هذا في شرح الواسطية إن شاء الله تعالى.

****

وَالنَّاس إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيل قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيل قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيل قَوْلُه تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

الشرح:

(وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ) استرسل المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الموضع بذكر أشياء تتعلق بالآخرة، من باب إكمال الفائدة.

والإيمان بالبعث دل عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل، فلم ينكره إلا الكفار، ولعل المؤلف أراد بيان ما يؤول إليه مصير أهل التوحيد، ومصير أهل الشرك والتنديد، لعل عباد القبور يتعظون ويتوبون.

(﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾) أي: من الأرض مبدؤكم، فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، وفي الأرض نعيدكم، أي: إذا متم تصيرون إليها فتدفنون بها، ومن الأرض نخرجكم يوم البعث والحساب.

(﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾) تفسير هذه الآية كسابقتها، وأهل السنه يؤمنون بالبعث كما ذكر الله سبحانه وتعالى، وهو من الإيمان بالغيب.

(وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾) يبعث الله تعالى العباد ثم يجمعهم للحساب. فمن الناس من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، كالأنبياء والرسل عليهم السلام، وهكذا مَن ذكروا في حديث السبعين ألفًا.

ومنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا، تعرض عليه بعض ذنوبه أو أكثرها ثم يستر ويغفر له.

ومنهم من يشدد عليهم بالحساب، ومن نوقش الحساب عُذِّب.

نسأل الله الكريم الرحمن أن يعفو عنا وعنكم.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ بالشرك والكفر، وأما أهل المعاصي فهم تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم.

﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ وهم أهل التوحيد والسنة والطاعة، والحسنى الجنة، فكل من مات على التوحيد فمصيره إلى الجنة، وإن عذب قبلها بذنوبه.

(وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾) من كذب بالبعث كفر وهذا بالإجماع.

والشاهد من الآية أنه وصف المنكرين للبعث بالكفر.



وَأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسل مُبَشّرين ومُنْذرين؛ والدَّليل قوْله تعالى: ﴿رُسلًا مُبشِّرين ومُنْذرين لِئلَّا يكُونَ للنَّاس علَى الله حُجَّةٌ بعْدَ الرُّسُل﴾.

- وأوَّلهُم نُوحٌ عليه السلام، وآخرُهمْ محمَّدٌ ﷺ، وهُو خاتمُ النَّبِيِّين؛ والدَّليل قوْلُه تعالَى: ﴿ما كانَ مُحمَّدٌ أبَا أحدٍ منْ رجالكُم ولكنْ رسُول الله وخاتمَ النَّبِيِّين وكانَ اللهُ بكلِّ شيْءٍ عليمًا﴾.

والدَّليل علَى أنَّ أوَّلَهُمْ نُوحٌ: قوْلُه تعالَى: ﴿إنَّا أوْحينا إليْك كمَا أوْحيْنا إلَى نُوحٍ والنَّبِيِّينَ منْ بَعْدِهِ﴾.

الشرح:

(وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) جميع الرسل بعثوا بالنذارة من الشرك، وما يصير إليه أهله من العذاب، والدعوة إلى التوحيد ويبشرون من قبله بالجنة والخير.

وما من أمة إلا وقد بعث الله جل وعلا إليها من يقيم عليها الحجة.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ لئلا يقولوا يوم القيامة: ما أرسلت إلينا رسولاً، ما أنزلت إلينا كتابًا، فانقطعت حجة الخلق على الله تعالى بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

(وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام...) أول الرسل نوح بلا خلاف، وجاء في الصحيح أيضًا في حديث الشفاعة: «فيأتون نوحًا، فيقولون له: أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض».

وأما بالنسبة لآدم عليه السلام فهو نبي وليس برسول.

(وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ...) وآخرهم. محمد ﷺ فهو خاتم الرسل والأنبياء بالإجماع القطعي، ومن ادعى النبوة بعده كفر، والآية صريحة في ختم النبوة والرسالة به ﷺ.

(وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ...) والآية تحمل على ذرية آدم عليه السلام، كما سبق أن آدم نبي، وهذه الآية تقوى قول من قال: إن إدريس عليه السلام بعث بعد نوح لا قبله، والله أعلم.

****

وكلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إليها رسولًا منْ نوحٍ إلى محمَّدٍ ﷺ، يأْمُرُهم بعبادةِ اللهِ وحْدَهُ، ويَنْهَاهُمْ عنْ عبادةِ الطَّاغوتِ؛ والدَّليلُ قوْلُه تعالى: ﴿ولقدْ بعثْنا في كلِّ أُمَّةٍ رسولًا أنِ اعْبُدُوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغوتَ﴾.

وافْتَرَضَ اللهُ على جميعِ العِبَادِ: الْكُفْرَ بالطَّاغوتِ، والإيمانَ باللهِ.

قالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله تعالى: «معْنَى الطَّاغوتِ: ما تجاوَزَ بهِ الْعَبْدُ حدَّهُ منْ معْبُودٍ أوْ متْبُوعٍ أوْ مُطَاعٍ».

والطَّواغيتُ كثيرونَ ورُؤُوسهُمْ خمْسَةٌ: إبْليسُ لعنَهُ اللهُ، ومَنْ عُبِدَ وهُو راضٍ، ومَنْ دعَا النَّاسَ إلى عبادةِ نفْسِه، ومَنْ ادَّعى شيْئًا منْ علمِ الْغيْبِ، ومَنْ حكمَ بغيْرِ ما أنْزَلَ اللهُ؛ والدَّليلُ قوْلُهُ تعالى: ﴿لا إكْراهَ في الدِّينِ قدْ تبيَّنَ الرُّشْدُ منَ الْغيِّ فمَنْ يكْفُرْ بالطَّاغوتِ ويُؤْمِنْ باللهِ فقدِ اسْتمْسَكَ بالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفصامَ لها واللهُ سميعٌ عليمٌ﴾، وهذا معْنَى لا إله إلا اللهُ.

- وفي الحديثِ: «رأْسُ الأمْرِ الإسْلامُ، وعمودُهُ الصَّلاةُ، وذرْوَةُ سنامِهِ الْجِهادُ في سبيلِ اللهِ».

واللهُ أعْلَمُ [تمَّتْ ثلاثةُ الأصُولِ].

الشرح:

(وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ)

دين جميع الأنبياء واحد وهو الإسلام العام، الذي معناه: الاستسلام لله بالتوحيد...

فجميع الأنبياء دعوا إلى التوحيد ونهوا عن الشرك، وجميع الأنبياء دعوا إلى طاعة الله تعالى، وحذروا من معصيته، وجميع الأنبياء دعوا إلى العمل بالشرائع وترك البدعة.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ اعبدوا الله وحده لا شريك له، فلا تصح عبادة الله تعالى مع وجود الشرك، واجتنبوا الطاغوت، أي: الشرك.

فجميع أنواع الشرك من الطاغوت.

(وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ: الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِاللهِ) أوجب الله سبحانه وتعالى لصحة التوحيد والإسلام الكفر بالطاغوت.

قال المؤلف في رسالته (الكفر بالطاغوت): فأمّا صفة الكفر بالطاغوت؛ أن تعتقد بطلان عبادة غير الله تعالى وتتركها وتبغضها، وتكفِّر أهلها وتعاديهم...، وأمّا معنى الإيمان بالله؛ أن تعتقد أنّ الله هو الإله المعبود وحده دون سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم. أ.هـ

(قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ) إذا عبدَ غير الله تعالى فقد تجاوز، وإذا اتبع غير رسول الله ﷺ، أو أطاع غير الله تعالى وغير رسول الله ﷺ الطاعة المطلقة فقد تجاوز، وخرج عن الحق إلى الطاغوتية.

(وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ) كبار **الطواغيت خمسة، وهذا ليس للحصر.**

الأول: (إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ): الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله تعالى، والشيطان: إبليس وأعوانه الذين يدعون إلى عبادة غير الله تعالى، وإلى كل شر وشرك، فهؤلاء طواغيت، وعُبَّادُهم طواغيت أيضًا، فكل من أطاع الشيطان فيما يخالف التوحيد فقد عبده.

الثاني: (وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ) لأن الرضى بالكفر كفر، والرضا بالشرك شرك، وهذه من القواعد التي تبنى عليها أحكام كثيرة، وممن يدخل في هذا من يدعو إلى عبادة القبور من السدنة والغلاة، فهم من أكفر الكفرة، ورؤوس الطواغيت.

الثالث: (وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ) هذا هو شرهم، والشيطان والكهان ونحوهم يدخلون في هذا؛ لأنهم يسعون إلى أن يُعبدوا من دون الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ﴾ معبود ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله تعالى ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الظالمين هنا: الكفار.

الرابع: (وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ): الذي يدعي علم الغيب المطلق، وهذا يشمل الساحر والكاهن والمشعوذ والعراف والرمال، قال والدليل الآية: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ نزلت في أناس أرادوا أن يتحاكموا إلى العرافين فهذه الآية الصريحة أن العرافين والكهنة طواغيت، وقد صرح به البخاري في صحيحه، وهم أيضًا من جملة عبّاد الشياطين.

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهي المذكورة في آخر آية من سورة لقمان: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ولم يطلع عليها أحدًا، إلا من شاء من الملائكة بعد أمره لهم.

الخامس: من حكم بغير ما أنزل الله تعالى مستحلًّا معتقدًا أن هذا أفضل من حكم الله تعالى، أو أن الإنسان مخير إن أراد حكم بحكم الله تعالى، أو أراد حكم بغير حكم الله تعالى؛ كله سواء، فهو طاغوت، وأما إن اعتقد أن الحكم للإسلام وأن مصدر التشريع هو الإسلام لكن جرَّه الهوى والمصالح أو حب المنصب فهذا يعتبر فاسقًا ولا يكفر، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. صح عن ابن عباس أنه قال: كفر دون كفر. وبوب عليه البخاري.

أهل السنة يقسمون الكفر إلى أكبر وأصغر على التفصيل الذي سبق.

(﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وَهَذَا مَعْنَى لا إله إلا الله)

والعروة الوثقى شهادة أن (لا إله إلا الله) وفسرها النبي ﷺ بالإسلام، والشهادة هي رأس الإسلام، ومعنى العروة: المقبض الذي يتمسك به، فمن تمسك بالتوحيد وبرئ من ضده فهو المؤمن.

(وَفِي الحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»)

رأس الدين الذي جاء به النبي ﷺ هو الإسلام، فمن انتسب إلى ما جاء به النبي ﷺ، لزمه الاعتناء بالتوحيد والبراءة من ضده، ومن ادعى أنه من أمة الإجابة، وقد فقد منه الإسلام رأس الأمر وأساسه إفراد الله بالعبادة فهو لا يفهم الإسلام.

****

الفهرس

❊❊❊❊